Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي
E-ISSN: 2959-6505
Volume 3, Issue 3, 2025
Page No: 219-225
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2024: 0.580 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.51

مفهوم "الشيء" في آية الماء: دراسة تفسيرية لدفع إشكالية خلق الجن والملائكة

عيشة ابوالقاسم خليفه الجعط*
قسم الدراسات الاسلامية، كلية التربية، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

The Concept of "Thing" in the Water Verse: An Exegetical Study Resolving the Paradox of Jinn and Angels' Creation

Aisha Abulqasem Khalifa Ajjouat*
Department of Islamic Studies, Faculty of Education, Bani Waleed University, Bani Waleed, Libya

*Corresponding author aisha.abulgassem88@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2025-06-09 تاريخ القبول: 2025-08-24 تاريخ النشر: 2025-08-28

الملخص

يهدف هذا البحث إلى معالجة الإشكالية المرتبطة بالآية القرآنية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: 30)، وما يُثار حول تعارضها الظاهري مع النصوص التي تقرر خلق الجن من نار والملائكة من نور. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الدلالي لفحص معاني مفردات الآية وسياقها، مع الاستناد إلى أقوال المفسرين والبحوث العلمية الحديثة. وتوصلت النتائج إلى أن لفظ "الشيء" في الآية ينصرف إلى الكائنات المحسوسة كالإنسان والحيوان والنبات دون الكائنات الغيبية كالجن والملائكة، انسجامًا مع سياق الخطاب الموجَّه للكفار. كما أن معنى "الجعل" يرتبط بدور الماء في إمداد الحياة واستمرارها، وليس بالضرورة أصل الخلق المباشر. ومن ثمّ فلا وجود لتعارض بين الآية والنصوص المتعلقة بخلق الجن والملائكة، إذ إن لكل منها نظامًا خلقيًا خاصًا. كما يتوافق هذا التفسير مع الحقائق العلمية التي تُبرز الدور الجوهري للماء في الحياة البيولوجية. وتخلص الدراسة إلى أن التمييز بين أنماط الحياة المادية والغيبية يُسهم في دفع شبهة التناقض، ويؤكد انسجام النص القرآني مع المنطق والعلم.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي، تفسير القرآن، خلق الجن، آية الماء، دفع التناقض، المفهوم السياقي.

Abstract

This study aims to address the issue raised by the Qur'anic verse: *"And We made from water every living thing"* (Al-Anbiya: 30), and the apparent contradiction with other texts that describe the creation of jinn from fire and angels from light. The research adopts a semantic-analytical methodology to examine the meanings of the verse's key terms and their contextual implications, while also reviewing classical exegetical opinions and relevant modern scientific studies. The findings reveal that the term *"every living thing"* refers to tangible beings such as humans, animals, and plants, rather than metaphysical entities like jinn and angels, consistent with the verse's rhetorical address to disbelievers. Furthermore, the concept of *"making"* denotes the sustenance and continuation of life through water, rather than the direct origin of creation. Hence, no contradiction exists between the verse and the texts on the creation of jinn and angels, as each has its own distinct mode of creation. This interpretation aligns with scientific evidence highlighting the essential role of water in biological life. The study concludes that distinguishing between material and immaterial forms of life dispels the claim of contradiction and underscores the coherence of the Qur'anic text with both reason and science.

Keywords: Scientific miracle, Quranic exegesis, Creation of jinn, Water verse, Resolving contradiction, Contextual semantics.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

قد أعجز القرآن العرب ببليغ جمله، وفصيح الآيات، وتحداهم أن يأتوا بمثل ما أتى به القرءان من المعاني والألفاظ، فالقرآن الكريم مصدرا هاما للعلم والحكمة، حيث يحتوي على آيات تدل على عظم الخالق وقدرته تعالى، ومن ضمن هذه الآيات

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، والتي تشير إلى أن الحياة تأتي من الماء، وهو فعلا يتمثل في الإبداع الإلهي والخلق العجيب.

ولما كان الشيء في هذه الآية يعبر عن برهان عظم الله تعالى وقدرته في خلق كل شيء من الماء وإعطاء الحياة لكل مخلوق، آثار هذا المفهوم شبهات من قبل بعض النصارى الذين يعتقدون أن هذه الآية احتوت على تناقض من أن الله قد جعل حياة الأشياء من الماء، والنار شيء من الأشياء لكنها تنطفئ بالماء، وكذلك الجان فهي كائنات حية وخلقت من نار لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (خُلِقَتِ الملائكةُ من نُورٍ، و خلق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، و خلق آدمَ مِما وُصِفَ لكمْ)[3]، وهنا يرد السؤال: هل الآية في حياة الأشياء بالماء كانت مقتصرة على الأشياء المشهودة كالإنسان والنبات وغيرها أم غير المشهودة كالملائكة والجن؟ فتوهم التناقض كان منشأه شمول آية الأنبياء لمطلق الكائنات الحية، ولكن كما سيتبين من البحث أن الآية لا تقتضي الشمول لجميع الكائنات، إذ أن التعبير بالشيء لا يفيد العموم دائما، فقد يراد من الشيء كائنات محدودة وذلك لما اقتضه القرينة، كالآية التي تليها، وقد يكون العكس بخلاف ما يتناوله البحث، كاستعمال الشيء في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[4]، فالشيء يتحدد بالقرينة المكتنفة في الكلام، وبهذا تكون الشبهة إما عن جهل، وإما عن كيد وتشويه، ومن هنا كانت أهمية ما تناوله هذا البحث من توضيح وعرض للمفهوم الشيء، وأقوال المفسرين وبيان المفردات والفرق بين ما فهم وبين ما قصد وهذا تحت عنوان: أصل الخلق من الماء بين التفسير والعلم: دراسة تفسيرية تحليلية، ودفع الشبهة حول خلق الجن والملائكة من غير ذلك.

الجهود السابقة:

- المياه والرياح في القرآن مع ما تحدث العلم الحديث بنشأتهما للدكتور عبد الرحمن الشهري، قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الدكتوراه بالمملكة العربية السعودية جامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة، لعام 1409هـ- 1989م، ضمت هذه الدراسة ثلاثة أبواب، أما الأول فكان الكلام فيه حول بدء الخلق وقسمه الباحث إلى فصول تحدث فيها عن نظريات علمية في بدايات الخلق، وأما الباب الثاني فكان عن الماء وضم عشرة فصول تكلم فيها الباحث عن أشكال الماء وأحواله والعلم الحديث والأمور البحرية، وتضمن الحديث في الباب الثالث والأخير عن الرياح وقسمت هذه الجزئية إلى خمسة فصول كان الحديث فيها عن الرياح وعلاقتها بالمطر والماء والرعد والبرق ...الخ.
- الماء في القرآن الكريم دراسة موضوعية بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن قدمها الباحث فتحي عبد العزيز العبادسة بالجامعة الإسلامية غزة بكلية أصول الدين، للعام الجامعي 1422 هـ- 2002م، وقد قسمت هذه الدراسة إلى ستة فصول، أما الأول فتكلم فيه الباحث عن الماء وأهميته، وأما الفصل الثاني فضم الحديث فيه عن مصادر الماء وأقسامه في القرآن الكريم، وكلا منهما مقسم إلى مباحث، وأما الفصل الثالث فكان عن الماء بين النعيم والعقاب وكذلك قسمه الباحث إلى عدة مباحث، وأما عن الفصول الأخيرة فتحدث فيها عن الإعجاز العلمي في آيات الماء، والماء في المثل القرآني والصراع على الماء.

أما عن الدراسة الأولى ومن خلال ما ذكر فإن الدراسة اختصت بالماء وأسماءه وأشكاله وأحواله وعن الرياح وعلاقتها بغيرها من الماء والرعد والمطر، وأما عن الدراسة الثانية فكان تركيزها على أهمية الماء الشرعية والاقتصادية والطبية وغيرها إضافة إلى أسماء الماء ومتى كان نعيم ومتى كان عذاب وكيف كان الصراع على الماء، فكلا الدراستين كانتا عن الماء في ذاته.

والذي ميز هذه الدراسة عن غيرها أنها كان الحديث فيها عن آية الماء والإعجاز فيها من أنه أصل الحياة وكيف كان الجمع في ذلك بين العلم والدين.

مشكلة البحث:

وتتلخص مشكلة البحث كالآتي:

- ما مفهوم الشيء والماء والخلق والجعل في آية الأنبياء السابق ذكرها؟
- هل الجن والملائكة وآدم داخل مفهوم الشيء الذي يحي بالماء؟
- هل الأشياء غير المشهودة كالملائكة والأشياء غير المادية من الأشياء المعنية في الآية؟
- ما هي أقوال علماء التفسير في هذه الآية؟
- هل يمكن الجمع بين الآراء الدينية والعلمية في أن الماء أصل الحياة؟

أهداف البحث:

- إلقاء الضوء على مفاهيم مفردات الآية.
- دفع توهم التناقض بين أصل خلق الجن والملائكة وبين الكائنات الأخرى.
- عرض سياق الآية لبيان أي الكائنات الحية المعنية في الآية.

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 30.

[2] سورة الرحمن، الآية 13.

[3] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث 2996، ص 1597، صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206- 261هـ)، دار المعني المملكة السعودية- الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م.

[4] سورة النحل، آية 89.

- نقل أقوال المفسرين ووجهتهم في تفسيرهم لآية الماء.
- عرض الإعجاز العلمي للماء وأنه أساس الحياة والجمع بين ذلك وبين النص القرآني.

المنهجية

لقد كانت منهجية البحث هي وصفية تحليلية دلالية، فمن جهة كونها وصفية لعرض أقوال المفسرين في مفهوم الشيء، ومن جهة أنها تحليلية لمناقشة الآية هل اشتملت على جميع الكائنات أم المشهودة فقط، ورد شبهة من قال بالتناقض، وأما من جهة دلالية لاعتمادها في الاستشهاد بالآية على العلم، وقد تلخصت منهجية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- ذكر الآيات ذات الصلة بالبحث وتخريجها بذكر السورة ورقم الآية.
- ترجمة جميع الأعلام الذين ذكروا في هذه الدراسة، وذلك من كتب التراجم.
- قمت بتخريج ما ذكر من الأحاديث التي استشهدت بها على صحة ما ذكر في البحث.
- عدم التوسع في عرض المعجزات الأخرى التي احتوت عليها الآية كالفتق والرتق.
- رجعت إلى كتب أهل الاختصاص في كل علم من العلوم التي أخذت منها مثل: اللغة والتراجم والتفسير والإعجاز العلمي.

خطة البحث:

قسم هذا البحث إلى مقدمة ضمت (الدراسات السابقة وإشكالية البحث والأهداف ومنهجية البحث وخطته)، وثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفردات الآية.
- المبحث الثاني: عرض جملة من أقوال المفسرين ومناقشتها.
- المبحث الثالث: الجمع بين الدين والعلم في كون الماء أصل الأشياء.
- خاتمة البحث ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول:

تعريف الشيء لغة: معلوم، وجمعه أشياء، وأشياوات، وأشاوات، وأشايا، وأشاوي، وهو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه عند سيبويه[5]، وقيل الشيء عبارة عن الوجود وهو اسم لجميع مكونات عرضا كان أو جوهرا، ويصح أن يعلم ويخبر عنه[6]. وأما عن تعريف الشيء اصطلاحا في القرآن الكريم فيختلف على حسب سياق الآية التي ورد فيها، فقد يأتي بمعنى المخلوق أي ما خلق من إنس وجن ونبات وحيوان، وهو ما دل عليه في هذه الآية، وقد يأتي بدلالات أخرى كالحال والأمر وغيرها، وقد عرفه الجرجاني[7] بأنه: الموجود الثابت التحقق في الخارج[8].

وأما عن لفظة الجعل لغة: جعل الشيء يَجْعَلُهُ جَعْلاً ومَجْعَلاً، واجْتَعَلَهُ: وضَعَهُ، وجَعَلَهُ يَجْعَلُهُ جَعْلًا: صَنَعَهُ...وجعل الطين خزفا والقبيح حسنا: صيره إياه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[9] أي خلقناه[10].

واصطلاحا فقد عده العلماء لفظ عام في الأفعال، أعم من صنع وفعل وأخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه كما ذكر ذلك صاحب كتاب "التوقيف على مهمات التعاريف، وهي أنه يجري مجرى صار وطفق، وأنه يجري مجرى أوجد، والثالث وهو المعنى المقصود في الآية لي إيجاد شيء عن شيء وتكوينه منه[11].

وأما عن الخلق والفرق بينه وبين الجعل، فالخلق لغة يأتي بمعنى تقدير الشيء[12]، ويتبين هنا أن الخلق هو الإنشاء من عدم أي خلق شيء غير موجود من قبل، ولا يقتضي وجود مادة أو شيء محسوس، والجعل كذلك يأتي بمعنى الإنشاء ولكنه مختلف عن الخلق، فالجعل إنشاء صفة جديدة في شيء موجود، أو تعديل أو تشكيل، لذلك كان التعبير في آية الأنبياء بالجعل، ومثال ذلك الإنسان فالمعنى يختلف عند قولنا: خلق الإنسان وجعل الإنسان، فالأولى إشارة إلى عملية الإنشاء الأولى التي هي من طين، والثانية إشارة إلى اعتماده على الماء في تركيب جسمه وبقائه حيا.

ومن المفردات المهمة في البحث "الماء" ولكن لما كان الماء من الأشياء المعلومة وأكثر أصحاب اللغة لم يذكروه، حيث نقل الزبيدي عن شيخه أن " العرب لا تعرف هذا ولا تخوض فيه، بل هو عندهم من الأمر المعروف الذي لا يحتاج

---

[5] سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري، وقد طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل عصره، استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، قيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة وقيل: أبو الأربعين، وقيل: مات سنة ثمانين ومئة وهو أصح، سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 748هـ -1374م، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1401- 1981، ص351، 352/ 8.

[6] التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (740هـ - 819هـ)، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة 1985، ص 135- 136

[7] أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني المحتسب، راوي "الصحيح" عن الفربري، وسمع عن عمر بن بجير، وطائفة، وأخذ عنه الحاكم وغيره، توفي في صفر سنة ست وستين، سير أعلام النبلاء للذهبي، ص247/ 16.

[8] التعريفات للجرجاني، 135، 136.

[9] سورة الأنبياء، آية :30.

[10] لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد عبد الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، ص 637/ ج8.

[11] التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف بن المناوي (952-1031)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى 1410- 1990، عالم الكتب- القاهرة، 127.

[12] مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (000- 395)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، ص 213/ ج2.

إلى الشرح"[13]، غاية ما ذكر عنه أنه معلوم وأن الهمز منقلب عن هاء، وأصل الكلمة موه ويجمع على مياه، وأمواه، وقيل: إن الأول جمع كثرة والثاني جمع قلة، أخرنا بيانه[14].

وأما عن تعريفه اصطلاحا فقد عرف بتعريف يوافق التعريف العلمي الدارج في زماننا، من أنه سائلا شفافا لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، يتكون كيميائيا من ذرتي هيدروجين، وذرة الأوكسجين، يتجمد عند درجة الصفر مئويا ويغلي عند المئوية[15]

المطلب الثاني: أقوال علماء التفسير حول تفسير الآية

اختلف المفسرين في بيان المراد من الشيء في الآية السابقة فالبعض يرى أن شيء تطلق على كل ما هو حي على وجه الأرض إنسانا أو نباتا أو حيوانا، وبهذا يكون الشيء قد خلق فعليا من الماء النازل من السماء، أو حفظت حياة الأشياء بالماء، ومن القائلين هذا القول القرطبي[16]، فكانت أحد تأويلاته أن أصل خلق الأشياء من ماء، حيث فسر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ على ثلاث تأويلات: أحدها أنه خلق كل شيء من الماء، والثاني حفظ حياة كل شيء بالماء، والثالث جعلنا من ماء الصلب كل شيء حي[17]، وهذه التأويلات هي خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية، حيث ذهب الزمخشري[18] في تفسيره إلى أنه خلق من ماء كل حيوان، أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له، وقلة صبره عنه[19]، والذي رجحه أئمة السلف وجمهور من المفسرين هو أن الماء سبب حياة كل شيء حي، وخلق الله كل شيء من الماء ويؤيد ما سبق قاعدة " تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم"[20]

وفسر ابن كثير[21] الآية بقوله: أن كل الأشياء أصلها من ماء مستدلا بحديث أبي هريرة عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم بإخباره عن كل شيء، فقال له: " كل شيء خلق من ماء"[22]

فيما يرى البعض الآخر أن الشيء في هذا الموضع يدل على النطفة وهي بداية الكائن الحي والمراد بالماء هنا ماء الصلب، فيكون الحيوان كله خلق من نطف أصوله وهذا من العام المخصوص كما ذكر صاحب كتاب "أضواء البيان"[23]، أو كما ذهب البعض أن تكون الآية غير شاملة لجميع الأشياء وإنما أريد "بكل" التكثير لا الحصر، ومن القائلين بهذا البغوي[24] فقد أورد مع تفسيره للآية التساؤل الذي هو صلب الحديث، حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي، أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء والمفسرون يقولون أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء، فإن قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء[25]، وهذا فعليا ما أشارت إليه الآيات في عديد من المواضع من قرن الحياة بالماء، منها قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[26]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾[27]، وغيرها من الآيات التي صرحت بالتلازم والترابط بين الماء والكائنات الحية سواء في أصل الخلق أو ضرورة استمرار الحياة بالماء، فإن سأل سائلا أن الآيات الواردة في خلق آدم

---

[13] تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001 م، الكويت، التراث العربي، 36/ 508.

[14] المصدر السابق 36/ 509.

[15] معجم اللغة العربية المعاصرة 3/ 214.

[16] شيخ الموصل أبو بكر، يحي بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي المقرئ النحوي، ولد سنة ست وثمانين وأربع مئة، ولقب بصائن الدين، أخذ القراءات عن أبي القاسم خلف بقرطبة وعن أبي القاسم بن الفحام بالإسكندرية، وتوفي بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وحمس مئة، سير أعلام النبلاء للذهبي، 546، 547/ 20.

[17] تفسير القرطبي 194/ 11

[18] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوية، صاحب الكشاف والمفصل، كان مولده بزمخشر ـ قرية من عمل خوارزم ـ في رجب سنة سبع وستين وأربع مئة، ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، 151- 155/ 20.

[19] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467- 538)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد، مكتبة العبيكان، 141/ 4.

[20] ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير جمعا ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط، 1/ 526.

[21] عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان، بن هرمز الإمام العلم مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة أبو معبد الكناني الداري المكي مولى عمرو بن علقمة الكناني، قال شبل بن عباد: ولد ابن كثير بمكة سنة 48 ومات عشرين ومئة، ونقل عن ابن سعد أن ابن كثير توفي سنة اثنتين وعشرين ومئة، سير أعلام النبلاء للذهبي، 316-319/ 5.

[22] تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء (714 هـ)، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى 1421 هـ- 2000م، 9/ 400.

[23] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (1325- 1393) دار عالم الفوائد، 4/ 706.

[24] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف، " شرح السنة" و"معالم التنزيل" و" المصابيح"، وكتاب " التهذيب"، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروروذي، صاحب "التعليقة" قبل الستين وأربع مئة، توفي بمرو الروذ مدينة من مدائن خراسان في شوال سنة ست عشر وخمس مئة، ودفن بجنب شيخه القاضي حسين وعاش بضعا وسبعين سنة رحمه الله، سير أعلام النبلاء للذهبي، 439- 441/ 19.

[25] https://www.islamweb.net/ar/fatwa/print.php?id=80291

[26] سورة العنكبوت، آية رقم63.

[27] سورة البقرة، آية رقم 164.

كان أصل الخلق من طين وليس من الماء كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[28] فالطين كما هو مقرر علميا هو خليط من الماء والتراب أي أن الماء عنصر أساس في تكوين أي شيء حي، ومن ذلك يتبين لنا مدى الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[29].

وخلاصة القول هنا أن المراد بالماء في الآية الماء الخارج من الأرض والنازل من السماء والمتفجر من الحجارة هو أساس خلقة كل حي وسبب في بقائه على قيد الحياة لفرط احتياجه له، وقلة استغنائه عنه، وهذا على قول بعض المفسرين كما تقدم، وأما على تفسير قول بعضهم الآخر أن الماء هنا هو ماء الصلب فكذلك المعنى يستقيم بتفسير أصل هذه النطف من الماء المعروف، لأن النطف من الأغذية والأغذية كلها ناشئة عن الماء كالحبوب والثمار وكذلك اللحوم والألبان والأسماك ونحوها، لأنه كله ناشئ بسبب الماء المذكور بداية[30].

هذا في المراد بأصل الخلق من ماء عند المفسرين، أما المراد بالشيء الذي خلق من ماء فهل يراد به الأشياء المتحركة المشهودة الحية فقط أم المشهودة وغير المشهودة؟

من خلال معرفة سياق الآية يرى أن المراد بالشيء في آية الأنبياء المعنية هو الشيء الحي الموجود حسيا كالإنسان والنبات والحيوان، أما الموجودات الحية غير المشهودة كالملائكة والجان حتى خلق آدام وعيسى لمن استدل بآيات خلقهم فإنهم غير مشهودين بالنسبة للكفار، والآية هنا تخاطب الكفار في إقامة الحجة عليهم بعد ذكر البراهين والأدلة الموجودة حسيا على عظمة الخالق لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فالله عز وجل خاطب الكفار بالبراهين المشهودة البينة الظاهرة أمام أعينهم لإقامة الحجة عليهم، فإذا كانت هذه الآيات غير ظاهرة لهم فلا فائدة من إقامة الحجة عليهم، والجن والملائكة كائنات غير ظاهرة أي غير مشهودة لديهم، فتكون الآية قد تحدثت عن الأشياء المتحركة المشهودة، والجن والملائكة غير داخلة في سياق الآية، فقال العلماء لابد من تخصيص العام وهو خلق جميع الأشياء من ماء لأن الجن والملائكة لم يخلقوا من ماء ولا محتاجين إليه، وإلي هذا القول ذهب الرازي[31] من أن اللفظ وإن كان عاما إلا أن القرينة المخصصة قائمة فإن الدليل لابد وأن يكون مشاهدا محسوسا ليكون أقرب إلى المقصود، وبهذا الطريق نخرج عنه الملائكة والجن لأن الكفار لم يروا شيئا من ذلك[32].

ومن خلال معرفة سياق الآية يدفع التوهم الذي أوردته بعض النصارى[33]، ويلحظ من أن المنشغلين باستخراج هذه الشبهات أنهم بعيدون عن اللغة وفهمها لأن البعض لم يدرس اللغة أصلا، وإنما كان المقصد من هذا الطعن في القرآن وإيهام الناس أن آيات القرآن الكريم يظهر ويغلب عليها التناقض.

المطلب الثالث: الجمع بين الدين والعلم في مفهوم الماء والحياة.

يتميز الماء بأهمية سواء من الناحية الدينية أو الناحية علمية، فهو متعدد الذكر في القرآن والسنة، كما أنه مهما من ناحية خواصه الكيميائية والفيزيائية والجغرافية، وهذا ما تناولته هذه الجزئية من الدراسة ولكن من جانب كونه أساسا وأصلا للكائنات الحية، وليس من حيث تركيبة الماء ومسمياته وما إذا كان عذبا أو مالحا خارجا من الأرض أو نازلا من السماء، فحقيقة أن الماء أساس الحياة حقيقة علمية لا سبيل لمناقشتها كما أخبر بذلك النقل، فنمط الحياة على الأرض يسمى علميا النمط المائي، فمتى ما وجود الماء وجدت الحياة.

فالماء أكثر السوائل معروفة حيث يلعب دورا كبيرا في العمليات الحيوية داخل الأجسام بكونه مركبا أساسيا من مركبات الدم، ويعمل على امتصاص المواد الغذائية في الكائنات الحية من نبات أو حيوان أو إنسان، وللماء قدرة على اختزان الحرارة حيث يمتصها ببطء ويفقدها أيضا ببطء، ولهذا فهو أعظم منظم لدرجات الحرارة على سطح الأرض، ولولاه لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد الانعدام[34]، فالماء بصفاته الفيزيائية والكيميائية[35] والعوامل الجوية وقابليته كل ذلك ملائم للكائنات الحية للتكاثر في الوسط المائي، كما يعتبر الماء ناقلا للمواد المعدنية والعضوية والمغذية للكائنات سواء التي تعيش خارجه أو ضمنه[36].

---

[28] سورة المؤمنون، آية رقم 12

[29] الإعجاز العلمي في الإسلام لمحمد عبد الصمد، 184.

[30] ينظر أضواء البيان للشنقيطي، 4/ 705

[31] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري البطرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطـــيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام؛ ولد سنة ثلاث وأربعين وقيل أربع وأربعين وخمسمائة، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت 1398- 1978، 248/4، 249؛ 350؛ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي (ت771)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العلمية، 81/8، 82؛ البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774)، مكتبة المعارف –بيروت، طبع سنة 1410-1990 55/13.

[32] مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر 544- 604هـ، دار الفكر، الطبعة الأولى 1401- 1981، 22/ 164.

[33] https://www.islamweb.net/ar/fatwa/80291

[34] الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم للدكتور منصور محمد حسب النبي، الطبعة الثانية 1991، دار الفكر، 42.

[35] بنية الماء ذا الصيغة H_2O غير متناظرة، حيث ترتبط ذرتا الهيدروجين بذرة الأكسجين برابطتين بينهما زاوية قدرها 150 درجة ...وإن هذه البنية تجعله محلا قطبيا ممتازا، مدخل إلى كيمياء المياه للدكتور نصر الحايك، منشورات المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا 2017، 29

[36] ينظر مدخل إلى كيمياء المياه، 39.

وهذه الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء والعلم الحديث قد أخبر بها القرآن قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنا، وهي أن الماء لما كان بهذه التركيبة وهذه الخاصية كان أصل حياة الكائنات وتفتقر إليه، ويمجدون من توصل إلى هذه الحقيقة وهو "داروين" لاهتدائه إليها وتقريره أن الماء هو مهد الحياة الأول[37]، حيث أجاب عن سؤال: ما أصل الحياة؟ وكيف نشأت في هذه الأرض؟ الوارد في أذهان الباحثين في أي عصر في التاريخ، فملئوا المجلدات ابتغاء الوصل إلى معرفة سر الحياة، قائلا على ألسنتهم منشؤها الماء ثم الهواء.

الخاتمة

تبقى الآية دليلا قويا على الإعجاز العلمي في القرآن، قبل ظهور النظريات وتجارب الباحثين، فملئوا المجلدات للسعي إلى معرفة أصل الحياة، وضاعت نتائجهم مقابل ذلك، وليس معنى ذلك النهي عن السعي في البحث وإظهار الحقائق العلمية التي جاءت على ما دله النقل، فالبحث يبرز أن الإعجاز يشمل ما نعلمه وما لا نعلمه، مع ضرورة التأكيد على أن العلم محدود أمام النص الشرعي لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة فصلت آية 53.

نخلص من هذه الدراسة إلى نتائج متمثلة في النقاط الآتية:

- بعد فهم المعنى اللغوي بشكل دقيق وسياق الآية يتبين أنه لا تعارض بين الآية وبين خلق الجن، لأن القرآن يتسع للحقائق المادية والغيبية دون أن يكون هناك تناقض.
- أقوال المفسرين تقاربت في أن الماء أصل الحياة إما بكونه نطفة أو تركيبة الكائنات منه، أو افتقارها إليه.
- ذهب المفسرون إلى أن المقصود بكل شيء حي هو الحياة الظاهرة للكائنات المرئية التي نعرفها، وأن الجن فحياتهم غيبية لا تخضع للقوانين المادية، وبذلك لا يحتاجون إلى الماء للبقاء، بل هو خاصية للكائنات الحية المشاهدة الحسية.
- أثبت العلم الحديث أن الماء هو أساس الحياة وأنه يدخل في تركيبة خلايا الكائنات الحية مثل نقل الغذاء والمساعدة على امتصاصه، ولا توجد حياة معروفة بدون الماء.

التوصيات:

- نوصي الباحثين في الإعجاز العلمي التركيز على الفروق بين الحياة المادية المبنية على الماء، والحياة الغيبية كالجن والملائكة، كما نوصي المؤسسات التعليمية بإدراج مناقشة الإعجاز الغيبي إلى جانب الإعجاز المادي في المناهج.
- نوصي كل عالم بتوظيف هذه الآية في الرد على الملحدين الذين يشككون في شمولية القرآن، واستثمار هذه النتائج في مجال الدعوة والحوار مع غير المسلمين.
- نوصي بإطلاق منصة متخصصة تفاعلية تشرح الإعجاز العلمي بنماذج ثلاثية الأبعاد لدور الماء في الخلايا، وإطلاق مسابقات علمية للشباب بجوائز لأفضل أبحاث طلابية حول تجارب تثبت دور الماء في الحياة.

قائمة المراجع:

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (1325- 1393) دار عالم الفوائد، 4/ 706.
2. الإعجاز العلمي في الإسلام لمحمد عبد الصمد، 184.
3. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774)، مكتبة المعارف –بيروت، طبع سنة 1410-1990 55/13.
4. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001 م، الكويت، التراث العربي، 36/ 508.
5. ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير جمعا ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط، 1/ 526.
6. التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (740هـ - 819هـ)، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة 1985، ص 135- 136
7. تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء (714 هـ)، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى 1421 هـ- 2000م، 9/ 400.
8. تفسير القرطبي 194/ 11
9. التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف بن المناوي (952- 1031)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى 1410- 1990، عالم الكتب- القاهرة، 127.
10. سورة الأنبياء، الآية 30.
11. سورة البقرة، آية رقم 164.
12. سورة الرحمن، الآية 13.
13. سورة العنكبوت، آية رقم63.

[37] في ضلال القرآن للسيد قطب، 2760.

14. سورة المؤمنون، آية رقم 12.
15. سورة النحل، آية 89.
16. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 748هـ -1374م، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1401- 1981، ص351، 352/ 8. 546، 547/ 20.
17. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث 2996، ص 1597، صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206- 261هـ)، دار المعني المملكة السعودية- الرياض، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م.
18. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي (ت771)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العلمية، 81/8، 82؛
19. في ضلال القرآن للسيد قطب، 2760.
20. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467- 538)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد، مكتبة العبيكان، 141/ 4.
21. الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم للدكتور منصور محمد حسب النبي، الطبعة الثانية 1991، دار الفكر، 42.
22. لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد عبد الله، وهاشم الشاذلي، دار المعارف، ص 637/ ج8.
23. مدخل إلى كيمياء المياه للدكتور نصر الحايك، منشورات المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا 2017، 29
24. معجم اللغة العربية المعاصرة 3/ 214.
25. مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر 544- 604هـ، دار الفكر، الطبعة الأولى 1401- 1981، 22/ 164.
26. مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (000- 395)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، ص 213/ ج2.
27. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت 1398- 1978.